

# السفير البريطاني الأسبق يكتب شهادته حول سقوط صنعاء ويكشف تفاصيل من محطات الأحداث والمفاوضات (٢-١)

الأمناء/ إدموند فيتون براون/ مجلة

Long War Journal:

في أول تحليل لي ومقال رأي حول ما يسمى بمحور المقاومة، حددت المشهد من خلال وصف مسار إيران على مدى 45 عاماً من ثورة الخميني إلى تحديها الحالي للغرب والنظام الدولي القائم على القواعد.

في هذه المقالة، سنبدأ في شق طريقنا عبر مجموعة من الميليشيات بالوكالة التي تدعمها إيران، وتنسحقها وتتحدى أعداء إيران في المسارح التي تنشط فيها.

الحوثيون اليمنيون مكان رائع للبدء بسبب التهديد المباشر الذي يشكلونه للشحن الدولي في البحر الأحمر، وبالتالي للاقتصاد العالمي، وبصفتي سفيراً سابقاً للمملكة المتحدة في اليمن (2015-2017)، كتبت هذه المقالة من وجهة نظر أكثر شخصية.

لقد كان الحوثيون لفترة طويلة مصدر قلق لكل من يهتم برفاهية الشعب اليمني واستقرار شبه الجزيرة العربية والأمن في البحر الأحمر وباب المندب، لكن الدور البارز الذي أخذوه على عاتقهم منذ السابع من أكتوبر في محور المقاومة رفع هذه المخاوف إلى مستوى جديد.

من بين الجماعات المتطرفة والإرهابية التي تستلهم قيادتها من إيران، فإن الحوثيين هم من أكثر الجماعات استقلالية، إنهم قادرون على رفض تنفيذ أوامر إيران عندما تتعارض مع مصالحهم، ومع ذلك، فقد أصبحوا على نحو متزايد شركاء متحمسين في الحرب مع حماس وحزب الله وإيران والمليشيات الشيعية العراقية، وتظهر الأدلة أن الإيرانيين شركاء مدركون تماماً في هذا العدوان.

بعد أن أمضيت قدراً كبيراً من الوقت في التفاوض مع الحوثيين في وقت كنت أركز فيه فقط على تحقيق السلام في اليمن، أود أن أذكر من أن هذه ليست حركة تحرير، بل هي بدلا من ذلك جماعة شديدة الضراوة والشوفينية والعنف، وأتذكر لحظتين من الوضوح الوحشي من كبار قادة الحوثيين، كانت إحداها عندما أخبروني، قبل وقت طويل من قيامهم بذلك بالفعل، أنهم كانوا في تحالف مصلحة فقط مع علي عبد الله صالح، وبمجرد أن يتوقف عن كونه مفيداً له، فسوف يقتلونه.

كانت اللحظة الثانية من الوضوح عندما أخبروني أنهم سينتصرون حتماً في اليمن في النهاية "لأنكم تهتمون، ونحن لا نهتم، أنتم تهتمون بموت اليمنيين، نحن لا نهتم بعدد القتلى، عندما يموت عدد كاف، ستوتسلون إلينا لإحلال السلام". في وقت لاحق، عندما رأيت قناصاتهم في عدن وتعرز يقتلون



المدنيين من أجل المتعة، الأطباء والمرضات في مستشفى يختبئون تحت إطارات النوافذ لممارسة أعمالهم لأن قناصاً حوثياً مدمناً على القات على سطح أحد المباني كان يطلق النار على أي شخص يظهر نفسه من النافذة، عادت كلمات محاورتي إلى ذهني.

من الجدير أن نتذكر أصول حركة الحوثيين لهم كيف وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم، اسمها الرسمي هو أنصار الله، وقد تشكلت في تسعينيات القرن العشرين في منطقة صعدة الجبلية غير الساحلية في شمال اليمن، بالقرب من الحدود السعودية، وهي تعتمد بشكل أساسي على المسلمين الزيديين - الطائفة الأقلية في اليمن التي تعتبر قريبة إلى حد ما من الإسلام الشيعي، ومع ذلك، في الممارسة العملية، لم ينظر إلى الانقسام الطائفي بين الزيديين والشافعيين (السنة) اليمنيين، الذين يشكلون ثلثي السكان، على أنه واسع بما يكفي ليكون مشكلة، كان الزواج بين الطائفتين والعبادة في مساجد كل منهما أمراً طبيعياً تاريخياً في اليمن.

إن اهتمام الحوثيين بإحياء الزيدية يُصور أحياناً على أنه اهتمام سلمي في مراحلها المبكرة، ولكن هذا الاهتمام كان دائماً قائماً على النخبوية والحصريّة التي تتمتع بها قبيلة الحوثي التي تنحدر منها قيادتها، وقد استلهم الحوثيون أفكارهم من حزب الله اللبناني (وبالتالي من إيران بطبيعة الحال) منذ البداية: فقد شارك كل من حسن نصر الله، ومحمد حسين فضل الله في تطوير أيديولوجيتهم. ويكاد اسم أنصار الله يكاد يكون مرادفاً لحزب الله في اللغة العربية، كما أن الجماعة تتسم بالعنف في

من القتال مع خصوم مختلفين، بما في ذلك السعوديون، لم يحدث شيء لإقناع الحوثيين بالتنازل أو تعديل نهجهم.

لقد أصبحوا أكثر صرامة في المعركة، وقد اعتاد قادتهم الميدانيون على الثروة المتراكمة والخوف الناتج عن اقتصاد الحرب، كما أصبحت علاقاتهم مع إيران وحزب الله اللبناني أوثق حيث اعتمدوا على كليهما في الإمدادات العسكرية والتدريب والدعم الفني.

لقد استخدم الحوثيون وشجعوا الدعاية ضد السعوديين وحلفائهم الغربيين لتحقيق نتائج طيبة: كانت الحرب غير شعبية في الغرب، وأدركت المملكة العربية السعودية أنها تفتقر إلى الدعم للضغط من أجل تحقيق النصر للحكومة المعترف بها دولياً، وبدلاً من ذلك، أصبح السعوديون حريصين بشكل متزايد على الخروج من الصراع، حتى لو كان ذلك يعني تسليم اليمن للحوثيين ودفع أموال الحماية لتركهم في سلام.

وهناك سؤال مثير للاهتمام يجب مراعاته من وجهة نظرهم: هل كان المجتمع الدولي ساذجاً بشكل مذبذب في فشله في تقديم الدعم غير المشروط للحكومة المعترف بها دولياً، وهل كان هذا يرجع إلى حد كبير إلى العداء الانفعالي للسعوديين الشائع جداً في الدوائر التقدمية الغربية؟ إذا كان الحوثيون يشكلون تهديداً زمنياً حقيقياً لبحر العرب ويعتزمون احتجاج حرية الملاحة في البحر الأحمر رهينة لأي مصلحة تكتيكية يختارون متابعتها، فهل يصبح من المحتم محاولة إحياء وتمكين التحالف السعودي-الإيراني لقمعهم؟

ولعل من المفيد أن أقدم بعض التأملات والحكايات من الفترة من نوفمبر/تشرين الثاني 2014 إلى يناير/كانون الثاني 2017، عندما كنت أستعد لتولي منصب السفير، ثم قمت بالفعل بهذه المهمة - وإن كان ذلك محبطاً من منفاي في جدة لأننا اضطررنا إلى الانسحاب من صنعاء في أوائل عام 2015، ولابد أن أقول إن تلك المحادثات المروعة التي ذكرتها في بداية هذه المقالة جاءت في وقت مبكر للغاية من وجودي في مسقط، حيث سافرت لتسهيل الاتصال بين الولايات المتحدة والحوثيين، الذين كانوا في ذلك الوقت على استعداد للتحدث إلى البريطانيين ولكن ليس الأميركيين، وقد استضاف العمانيون بكل لطف جليستين من المحادثات بين كبار الحوثيين وأنا، والتي بلغت نحو عشر ساعات من المناقشات المكثفة والمفاوضات باللغة العربية، وقد نجحت في نطاق مهمتي المحدود، وقد تأسس الاتصال بين الولايات المتحدة والحوثيين بالفعل قبل وقت طويل من محادثات السلام في جنيف في يونيو/حزيران 2015.

وفي وقت لاحق، لعبت دوراً بارزاً في دعم جلسات محادثات السلام الثلاث بين الحوثيين وممثلي الرئيس هادي، كما تواصلت على نطاق واسع مع الموالين لصالح وشركائه لمحاولة العمل على هذا الجانب من اللغز اليمني، وتعرفت على الزعيم الحالي للحكومة الشرعية، رشاد العليمي، وأعجبت به كثيراً، ومن خلال العمل عن كثب مع مبعوثي الأمم المتحدة الممتازين، إسماعيل ولد الشيخ أحمد، وكنيني جلوك، حاولنا كل شيء لتحقيق السلام ولكننا فشلنا.

لقد كانت محادثات السلام رائعة بكل تأكيد، فقد تطورت من الإحباط الشديد الذي أصاب المحادثات في جنيف في يونيو/حزيران، عندما رفض الحوثيون حتى المشاركة، وظهر الجانب الحكومي مع مندوب مرتبط بتنظيم القاعدة، وقرر الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بحماقة الظهور لإجبار الحوثيين على التقاط صورة، وكان التأثير الوحيد لذلك هو إعطاء الحوثيين الفرصة لتأمين التنازلات من خلال التهديد بمقاطعة جلسة التصوير، وبعد أشهر من العودة إلى جبال سويسرا، اجتمع الجانبان أخيراً، وإن كان ذلك على مضض وبصورة غير منتجة.

ثم جاءت الكويت في ربيع وصيف عام 2016 - محادثات السلام الحقيقية التي أعتقد أنها ربما كانت أقرب ما توصلنا إليه من اتفاق سلام (وإن كان بشروط مواتية للغاية للحوثيين) حتى عام 2023، مكثنا في فندق مريح لمدة ثلاثة أشهر تقريباً: الأمم المتحدة، والولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، والعديد من مجموعة السفراء الداعمين للسلام في اليمن، والمعروفة آنذاك باسم مجموعة الثماني عشرة.

كما قدم الكويتيون قصراً للضيوف لبعض المحادثات، وكانوا مضيفين لطفاء ومتعاونين، ولكن لا يمكن قول الشيء نفسه عن ضيوفهم الحوثيين، الذين قدموا مطالب غير معقولة إلى ما لا نهاية، بما في ذلك الإمداد المستمر بالقات (مخدر غير قانوني في الكويت يعتبر توريده أو حيازته عادة جريمة جنائية خطيرة). وكانوا يصلون متأخرين إلى الاجتماعات، وينغمسون في نوبات الغضب، والانسحاب، والتهديدات، والاتهامات المتبادلة، ويعيرون موفهم التفاوضي من يوم لآخر، وكان هناك مواجهة عندما تم إغلاق حساب المفاوضات الحوثي الرئيسي، محمد عبد السلام، على فيسبوك بسبب المواد البغيضة الموجودة عليه، كان إصلاح هذه المشكلة - إعادته إلى موقع فيسبوك على الرغم من المواد البغيضة - يتطلب إظهار هويته، التي تشير إلى أنه يبلغ من العمر 13 عاماً، وتبين أنه سافر إلى الكويت بجواز سفر ابنه.